رحلة الغرناطي

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب
ورحلة إلى أوروبة وآسية

أبو حامد محمد الغرناطي

حرّرها وقدّمها: قاسم وهب

الدار العربية للموسوعات
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

أبو حامد محمد الغرناطي ◆ رحلة الغرناطي

910.4
HAM.T
130662

الرحلة

يعيد هذا الكتاب تقديم رحلة الغرناطي إلى أوروبا وآسيا في القرن العاشر الميلادي، في محاولة لرد الاعتبار لرحالة وجغرافي عربي كبير أصدر بعض المؤرخين الغرب بحقه أحكاماً سريعة ومقتضبة لا تقوم على أساس من الاستقصاء والتحليل، فمنهم من أثنى عليه، ومنهم من اتهمه بالكذب جزافاً.

حظيت تحفة الغرناطي باهتمام المستشرقين منذ نهايات القرن الثامن عشر، في الوقت الذي لم تحظ فيه باهتمام يذكر من قبل الدارسين العرب والمسلمين في القديم والحديث. وتتمتع بأهمية خاصة رواية لما رآه بعينيه، واهتمامه بالأبنية والمعالم المختلفة في المدن والأماكن التي زارها في أوروبا وآسيا. قدّم الغرناطي معطيات قيمة عن بعض بلدان أوروبا، فحكايته عن هنغاريا تلقي ضوءاً على أصل المسلمين الهنغار وأوضاعهم، أما معلوماته عن حوض الفولغا الأوسط والأدنى، وعن شعوب القوقاز فهي ذات أهمية كبرى. كما نالت اهتماماً كبيراً قصته عن تجارة العظام المندثرة التي تنشط بين سكان الفولغا وحوار زعم.

تحفل رحلة الغرناطي بضروب من العجائب مختلفة في وحدة كوزموغرافية راقت للأجيال التالية من الجغرافيين العرب، فنقلوا عنه.

ISBN: 9953-441-37-5

الدار العربية للموسوعات
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

$ 10

130662

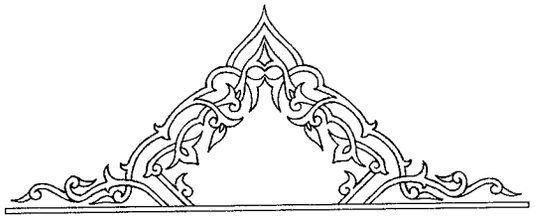

رحلة الغرناطي

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب
ورحلة إلى أوربة وآسية

أبو حامد محمّد الغرناطي

حرّرها وقدّم لها : قاسم وهبْ

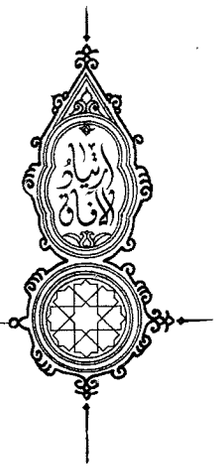

رحلة الغرناطي – تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوربّة وآسية (١٦٩٠ - ١٦٩١) / أدب رحلات
أبو حامد محمّد الغرناطي/ مؤلّف ، [حرّرها وقدّم لها : قاسم وهبْ]
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣
حقوق الطبع محفوظة

دار السويدي للنشر والتوزيع
أبو ظبي ، ص. ب : ٤٤٤٨٠
الإمارات العربيّة المتّحدة ،
هاتف : ٦٣٢٢٠٧٩ ، فاكس : ٦٣١٢٨٦٦

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@jonet.com
الخطوط وتصميم الغلاف :
منير الشعراني / مصر
الصفّ الضوئي :
القرية الإلكترونيّة / أبو ظبي + مطبعة الجامعة الأردنيّة / عمّان
التنفيذ الطباعيّ :
سيكو للطباعة والنشر / بيروت ، لبنان

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publishers .

ISBN 09953-441-37-5
جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشرين .

ISBN: 9953-441-37-5

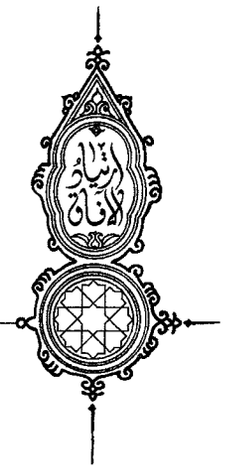

يشرف على هذه السلسلة:
نوري الجراح

« . . . وأهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صوراً . سبط الشعور ، لهم عقول وفهم . ويحجّون إلى مكّة . وأما فَاوَةَ ، وقوقو ، وملي ، وتكرور ، وغَدَامِسْ ، فقوم لهم بأس وليس في أرضهم بركة ، ولا خير في أرضهم ، ولا دين لهم ، ولا عقول . وأشرّهم قوقو ، قصار الأعناق ، فُطْس الأنوف ، حمر العيون ، كأنّ شعورهم حبّ الفلفل ، وروايحهم كريهة كالقرون المحرَّقة . يرمون بنبلٍ مسمومة بدماء حيّات صفر لا تلبث ساعة واحدة حتى يسقط لحمُ من أصابه ذلك السهم عن عظمه ، ولو كان فيلاً أو غيره من الحيوانات والأفاعي .» .

نصّ الرحلة ص 30

«وعند صنعاء أمّة من العرب قد مُسِخوا كلّ إنسان منهم نصف إنسان له نصف رأس ، ونصف بدن ، ويد واحدة ، ورجل واحدة ، يقال لهم وبار . هم من ولد إرم بن سام أخو عاد وثمود . وليس لهم عقول . يعيشون في الآجام ، وفي بلاد الشجر على شاطئ بحر الهند ، والعرب تسمّيهم النسناس ، ويصطادونهم ويأكلونهم . وهم يتكلّمون بالعربية ويتناسلون ويسمّون بأسامي العرب ويقولون الأشعار . ورأيت في تاريخ صنعاء ذُكِرَ أن تاجراً سافر في بلدهم فرآهم يثبتون على رجل واحدة ، ويصعدون الشجر ، ويفرّون خوفاً من الكلاب أن تأخذهم . وسمع واحد منهم يقول شعراً . .» .

نصّ الرحلة ص 32

استهلال

تَهْدُفُ هذه السِّلسلةُ بَعْثَ واحدٍ من أعرقِ ألوانِ الكتابةِ في ثقافتنا العربية ، من خلال تقديم كلاسيكيَّاتِ أدبِ الرِّحلةِ ، إلى جانب الكشف عن نصوصٍ مجهولةٍ لكتاب ورحَّالة عربٍ ومسلمينَ جابوا العالم ودوّنوا يوميَّاتهم وانطباعاتهم ، ونقلوا صوراً لما شاهدوه وخَبِروهُ في أقاليمه ، قريبةً وبعيدةً ، لاسيما في القَرنين الماضِيين اللذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النُّخب العربية المثقفة ، ومحاولة التعرّف على المجتمعات والنَّاس في الغرب ، والواقع أنه لا يمكن عزل هذا الاهتمام العربي بالآخر عن ظاهرةِ الاستشراق والمستشرقين الذين ملؤوا دروبَ الشَّرقِ ، ورسموا له صوراً ستملأ مجلدات لا تُحصى عدداً ، خصوصاً في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، وذلك من موقعهم القوي على خارطة العالم والعلم ، ومن منطلق المستأثر بالأشياء ، والمتهيِّئ لترويج صور عن«شرق ألف ليلة وليلة» تغذّي أذهان الغربيين ومخيّلاتهم ، وتُمهِّدُ الرأي العام ، تالياً ، للغزو الفكري والعسكري لهذا الشرق . ولعل حملة نابليون على مصر ، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية ، هي النموذجُ الأتمُّ لذلك . فقد دخلت المطبعة العربية إلى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي

لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري .

على أن الظّاهرة الغربية في قراءة الآخر وتأويله ، كانت دافعاً ومحرضاً بالنسبة إلى النخب العربية المثقفة التي وجدت نفسها في مواجهة صور غربيَّة لمجتمعاتها جديدة عليها ، وهو ما استفز فيها العصب الحضاري ، لتجد نفسها تملك ، بدورها ، الدوافعَ والأسبابَ لتشدّ الرحال نحو الآخر ، بحثاً واستكشافاً ، وتعود ومعها ما تنقله وتعرضه وتقوله في حضارته ونمط عيشه وأوضاعه ، ضاربة بذلك الأمثال للناس ، ولينبعث في المجتمعات العربية ، وللمرة الأولى ، صراع فكري حاد تُسْتَقْطَبُ إليه القوى الحيَّةُ في المجتمع بين مؤيد للغرب موالٍ له ومتحمِّسٍ لأفكاره وصياغاته ، وبين معادٍ للغرب ، رافض له ، ومستعدٍّ لمقاتلته .

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين ، عَبْرَ رسم صورٍ دنيا لهم ، بواسطة مخيِّلة جائعة إلى السِّحري والأيروسيِّ والعجائبيِّ ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم ، كما سيتَّضحُ من خلال نصوص هذه السلسة ، ركّز ، أساساً ، على تتبع ملامح النهضة العلميَّة والصناعيَّة ، وتطوّر العمران ، ومظاهر العصرنة ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق . لقد انصرف الرَّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات ، مدفوعين ، غالباً ، بشغف البحث عن الجديد ، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط ، من باب الفضول المعرفي ، وإنما ، أساساً ، من بابِ طَلَبِ العلم ، واستلهام التجارب ، ومحاولة الأخذ بمعطيات التطور الحديث ، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشَّلل الحضاريِّ التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها . هنا ، على هذا المنقلب ، نجد أحد المصادر الأساسية المؤسِّسة للنظرة الشرقية المندهشة بالغرب وحضارته ، وهي نظرة المتطلِّع إلى المدنيَّة وحداثتها من

موقعه الأدنى على هامش الحضارة الحديثة ، المتحسِّر على ماضيه التليد ، والتّائق إلى العودة إلى قلب الفاعلية الحضارية .

إن أحد أهداف هذه السِّلسلة من كتب الرحلات العربية إلى العالم ، هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكَّل عن طريق الرحلة ، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرَّحالة ، والانتباهات التي ميَّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار . فأدب الرحلة ، على هذا الصعيد ، يشكِّل ثروةً معرفيَّةً كبيرةً ، ومخزناً للقصص والظواهر والأفكار ، فضلاً عن كونه مادة سرديّة مشوّقة تحتوي على الطريف والغريب والمُدهش مما التقطته عيون تتجوّل وأنفسٌ تنفعل بما ترى ، ووعي يلمُّ بالأشياء ويحلِّلها ويراقب الظواهرَ ويتفكَّرُ بها .

أخيراً ، لابد من الإشارة إلى أن هذه السِّلسلة التي قد تبلغُ المائة كتابٍ من شأنها أن تؤسس ، وللمرة الأولى ، لمكتبة عربية مستقلّة مؤلّفة من نصوص ثريَّة تكشف عن همّة العربيِّ في ارتيادِ الآفاقِ ، واستعداده للمغامرة من بابِ نَيل المعرفةِ مقرونةً بالمُتعةِ ، وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض وفي قارّاته الخمس ، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه ، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء والمفكرون والمتصوفة والحجاج والعلماء ، وغيرهم من الرَّحالة العرب في أرجاء ديارهم العربية والإسلامية .

محمد أحمد السويدي